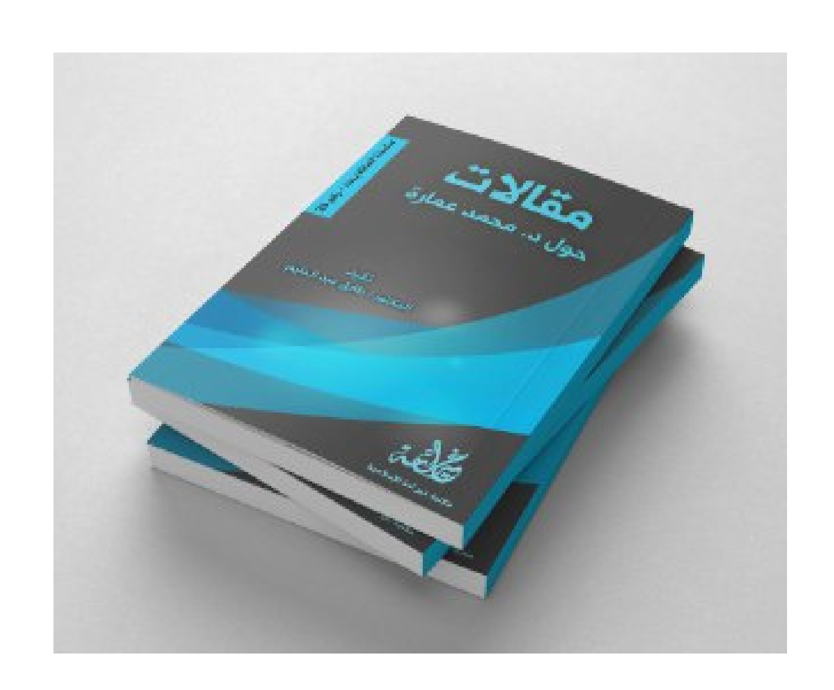


مقالات حول د محمد عمارة

[محمد عمارة وكتاب "الإسلام في مواجهة التحديات"]

الاثنين 29 نوفمبر 2010

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وبعد

مقدمة

الدكتور محمد عمارة كاتبٌ مفكرٌ أزهريّ، خَالفَ الأزهَريةَ الصُوفيّة التقليدية إلى الإعتزال، فانتهج مَنهجه، الذي يَنسُبونه إلى العَقلانية، وأخذ بما في هذا المَذهب أساساً ومنطلقاً، فكان نِتاجُه الغَزيرُ في الدفاعِ عن الإسلام في مُواجَهة التَنصِير والنَصْرانية، كما فعلت المُعتزلة الأوائل، وهو ما يُحمد عليه. لكن المَذهبية الإعتزالية قد حدّدت موقعَه من الصَحوة الإسلامية ومَكانَه على خَريطة أهل السُّنة والجَمَاعة، ودورَه في توجِيه النشْأ المُسلمِ نحو إسلامٍ ملتزمٍ سنيٍّ على مِنهاجِ النبوةِ وسُنَن الصَحابة والتابعين.

ومحمد عمارة يُقِرّ بأنه يَتبع الفِكر الإعتزاليّ من مُنطلق أنّ المُعتزلة هم رُواد الفِكر الإصْلاحيّ العَقلانيّ في تاريخ الإسلام، وهي دعوى شَاركه فيها عدد من رجالات عصرنا كمحمد عابد الجابريّ وطه جابر علوانيّ وحسن الترابيّ، والأخير هو أشَدّهم بِدعَةً، ومن القرن الماضي كأحمد أمين، ومن قبلهم محمد عبده وجمال الدين الأفغانيّ. إلا إنه – كسائر رفاقه على دَربِ الإعتزالية – لا يراها بدعة، خلافاً لما قرّر أهل السنة والجماعة قاطِبة، بل يراها "عقلانية" تَعتَزُّ بالعَقل، وتجْعله قائِما على الشَرع وحَاكماً على نُصوصه.

وتدور مَبادئ الإعتزال، أو إن شِئت العَقلانية، على عدة مبادئ أهمها، تقديمُ العقل على النقل، وإنكارِ الأحاديث التي صَحّت إن لم يراها العقل ملائمة أو مناسِبة للمنطق، ومن ثمّ، أنكر هؤلاء صِحَة عدد من أحاديث البُخارى ومُسلم، وأنكروا حُجّية أحاديث الآحاد جملة واحدة[1] (1)، وهي التي ثَبُتتْ بعددٍ من الصحابة أقل من التَواتر، ومن ثمّ أنكروا الكثير من العقائد التي ثبُتت عند أهلِ السُنّةِ واستقرّتْ في عَقائد العَامّة منذ عَصرِ الصَحابة رضى الله عنهم، كحَوضِ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وشَفاعتِه، وعذابِ القبرِ وخروجِ الدجّال، والميزان والصراط، وغير ذلك مما خالف فيه محمد عبده في تفسيره، كإنكار الطيرِ الأبابيل بزَعمِ أنها جَرَاثيم مُمْرِضَة! ولسنا بصدَد الردّ على المذهبِ الإعتزاليّ إذ قد أصْدرنا كتاب "المُعتَزِلة بين القديم والحديث" منذ حول ثلاثين عاماً وطُبع عِدّة مرات، وهو سَهلٌ مَيسورٌ للقراءةِ لِمَن أراد[2].

وقد كان لهذا الإتجاه أثرُه فيما يكتب مُحمّد عِمارة في أي مَوضوع من موضوعاته، فهذا المنطلق يؤثر بلا شك على مصادر تلقّيه، وحُجيّة مَصادره، ولكنه، في وقتنا هذا الذي قلّ فيه العلم، وشحّت فيه المَعرفة، قد نال التبجيلَ والإحترامَ والتقديرَ فيما كتب بحقٍ – وهو كثير - أو بغيرِ حق. ولا أُحبُ أن أُنكرَ على الرجُل جَهدَه فيما كَتَبَ بِحق، فليس هذا من مَذهب أهل السُّنة، لكن قد خشى الكثير من الكتاب أن يُبيّنوا مواضِع خَطئه ومواطِن ضَعفه فيما كتب بغير حق، لما يَتمتعُ به من صِيتٍ واسعٍ، وإسمٍ شهيرٍ، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وقد رأينا أشنعَ من ذلك في عَصر المَأمون والمُعتصم حيثُ تولّت المُعتزلة إدارة البلاد سِياسياً وفِكرياً فأشاعوا بدعتهم العقلانية، وامتحنوا بها إمامَ أهلِ السُّنةِ أحمد بن حنبل رضى الله عنه، حيث وَقَف بالمِرصاد لمن أراد أن يُخضِع النصّ الثابتَ الصَحيح لعُقول البشرِ المُتفاوتَة الضَئيلة إلى جانبِ الوَحي الإلهيّ.

وأودّ أن أؤكد أن المُعتزِلة ليسوا عِلمانيين، فالعلمانيون كفارٌ بدينِ الله أصْلاً، إذ يَرفُضون حُجيتّه ومَرجِعِيتّه، بِناءاً على العقلِ كذلك، ولكن المعتزلة لا يقولون بذلك، بل يُحاربون العلمانية ويرفُضونَها، كما فعل محمد عمارة في كِتابه المقصود ص55،

[1] http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-327

[2] http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-6

وأحسن فيما قال. إنما المعتزلة يشتركون مع العلمانيّين في تَمْجِيد العَقل ورَفْعِه إلى دَرجة يَحْكُم فيها على النصّ الإلهيّ، ويفترقون معهم في أن الإسلام له مَرجِعية أصيلة في حياةِ المُسلمين، وأن الرُجوعَ إلى القُرآن، وما يَرونَه مَعقولا لهم من السُنة واجبُ على المُسلم. ومن هنا لم يَحْكُم أئمة السُنّة عليهم بكفرٍ، بل بالبدعَة، كلّ حَسبَ بعده وقربه منها.

ثم نعود إلى كتاب محمد عمارة :الإسلامُ في مُواجَهة التَحديات" وهو مجموعة من المقالات التي تَجمَع أكثرها موضوعات محددة كالأقليات، والوسَطِية، والسياسة والتَعدّدية والعُروبة والجِهاد، إلى جانب تناول بعض الشخصيات كالبشير الإبْراهيمي وطَه حُسَين.

علاقةُ المُسلم بأهل الكتابِ والمشركين - الأقليّات:

انتهج الدكتور عمارة في هذا الموضوع، موضوع الأقليّات وموضِعها من المواطنة، منهجُ أصحابِ الوَسَطية المُحْدَثَة، كما سنرى. فقرر أنّ اليهود والنَصارى، وسائر أصحاب الدِيانات الوضعِية غير السماوية، متساوون في حَقّ المُواطنة مع المسلمين سواءاً بسواء ولا فرق. وإعتمد في هذا التقرير على الوثائق النبوية التي دُوّنَت عقب الهجرة فيما عُرِف "بالصَحيفة"، والتي ضَمَنَ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حقوق اليهود في المدينة وأنّ "يهود أمة مع المؤمنين...إلا من ظلم وأثم..." التحديات 28، وكذلك وثيقة نَصارى نَجران، والتي جاء فيها "لنجران وحاشيتها ...جوار الله وذمة محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، على أموالهم وأنفسهم..."السابق 29.

ولا أدرى كيف غَابَ عن فِكرِ هؤلاءِ المفكّرين الأكابر من أربابِ الوَسَطيةِ المُحْدَثةِ، أنّ تلك الوثائقَ ذاتها دليلٌ ضِدّ ما يروّجون له من معنى المُواطَنة! فلولا مُغايرة الصفة القانونية والشرعية لأهل الجِزية وغيرهم عن المسلمين في بلاد الإسلام، ما كان هُناك داعٍ أصلاً لكتابة وثائقَ وتوثيقِ عقودٍ وعهود! أمرٌ في غايَة الوضوح والبَساطة. ولو إلتزَمْنا بسنّة رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم في هؤلاء، لكَتبنا وَثيقة بين المسلمين وبين القبط واليهود يتعهّد فيها المُسْلمون بما تَعَهّد به رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لهؤلاء، وتكون هذه الوثيقة جُزء من دُستور الأمّة. وهذه الوثيقة تُلزِمُ المُسلمين بتعهّداتهم لأهل الجِزية، وتُلزِمُ أهلُ الجزية بالولاءِ للمُسلِمين ولدارِ الإسلام. والتغاضى عن كتابة هذه الوثيقة خلال قرون مهما تطاولت لا يزيل عنها صفة السُنّة التي لا يَجوز الخروجُ عليها، ولا يَرفعُ عن أهل الذِمة ضَرورة الإلتزام بوثيقة مع المُسلمين في دار الإسلامِ، ولا عن دَفعِ الجِزية عن يدٍ وهم صَاغرون. ولو كان حقّ المواطنةِ التي يُطَنْطِنُ به هؤلاء الوسَطِيون المُحْدَثون، حقٌ مشروعٌ ما كَتَبَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم وثيقةً ولا أخَذَ عَهَداً، بل لإكتفى بما هو حقٌّ لكلّ مُسلمٍ ونَصْرانيّ كما يدّعى مُفكّرينا، من الحياة في دار الإسلام بوثيقة واحدة. وهذا التَصوّر، على جَمَاله ونُبله الظاهر، إلا إنه ليس مما وجّهنا اليه رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم، بكتابته للوثائق، ولا القرآن الكريم الذي طلب أخذ الجِزية منهم عن يدٍ وهم صَاغِرون، وعلى من إدّعى التَخصْيص في هذه الآية الدليل – كما زَعَمَ فهمى هويدى في كتابه "مواطنون لا ذميون"، وإلا كان مُشَرّعاً لغير ما أنزل الله، ولا داعٍ لمُمَاحَكَتِه في الإسلام. فهذا التَصوّر الجميل النبيل ليس إلا تصوّرٌ سَاذجٌ للعلاقة بين أهل الكتاب والمسلمين، إذ إنّ هؤلاء لن تُنزَع عنهم كَراهة الإسلام والمسلمين ، بنصّ كتاب الله سبحانه "وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، البقرة 120. ولنْ صيغة نفي مستقبليّ تعنى إستحالة الوقوع مستقبلاً، وهو المُشاهد في حاضِرنا، وسبحان الله في هؤلاء المُفكرين الوَسَطيّن المُحْدَثين، كلّ أحداثِ الحَاضِر تنبئ بصِحّة الآيات الكريمة، وبحِكمَة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في كتابة هذه الوثائق، ووضع الحُدود بين المسلم الذي له حَقُّ المواطنة الأصليّ الأصيل في دار الإسلام بموجب دينه لا غير، وبين المُعاهِد الذي لا يؤمَنُ غَدْرُه ولا تُعلم طَويّتُه، ولا يُعْرَف إنتِماؤه. وها هيَ الكنيسة التي تُمثّلهم قد أسْتَعْدَت بالخائنين من أقباطِ المَهجَرِ وبالقوى الصَليبيّة على معاهديها من المسلمين، بل وتَهَجَّمت على القرآن الكريم! فكيف بالله يُنْكَر صِحة السّنة النبوية الكريمة وصَلاحيتها لزَمانِنا، ويُستَهان بتطبيقها، خُضَوعاً لضَغط الواقعِ، أو محاولة لتقليد الغرب في معاملته للأقليات بعد أن نحّى الدين عن الحياة، أو رَغبة في إدِّعاء التَجديد للتجديد!

والغريب أنّ الكاتب قد عَرَضَ مقرّرات ندوة بارايلان التي خَلُصَت إلى أنّ الأقليّات في العالم العربيّ شريكٌ طبيعيٌ لإسرائيل في مواجَهة الإسلامِ والعُروبة، وهو ما يؤكّد أنّ هذه الأقليّات تمَثل خَطَراً عَظِيماً على المُسلمين.

ونحن إذ نوافق على تحليل الكاتب بصَدد الحلول المطروحة للتعامل مع الأقلية القبطية (التحديات 58)، وعلى رفضه وتفنيده للحلّ العلمانيّ، وترجيحه للحلّ الإسلامي، إلا أننا، كما بيّنا، نختلف معه أشدّ الإختلاف في طبيعة ما يريده أن يكون حلاً إسلامياً، وهو موضوع المواطنة، ولا نتفق معه، من ثمّ، في إعتباره أن الإسلام حوّل الأقليات إلى "جزءٍ من الذات"، ووالله لا أدرى من اين أتى الدكتور عمارة بهذا التضْخيم لما تعنيه الوثائق النبوية، التي تثبت بمُجردها المبايَنَة لا المُمازَجة، وضرورة التوثيق للعهود مع "الغير المباين"، لا مع "جزءٌ من الذات".

مبدأ الإنْسانية ووحدة الأديان:

وقد حاول الكاتب في هذا الموضوع منزلقاً غاية في الخطورة، فما كان إلا أن إنجرف إلى تعبيرات ومفاهيم تخالف الإسلام شكلاً وموضوعاً، لا يكاد يأتي بها إلا علمانيّ ماسونيّ عتيد!

فقد أراد الكاتب أن يؤكد على وحدة البشر ووحدة الأديان، في الجزء 38 من كتابه ص128، فجاء بحديث صحيح، واستخدمه في بَاطلٍ عَقيم. فقد روى الحديث المتفق عليه والذي فيه "الأنبياء إخوة علاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"، وقرر بناءاً على ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد سوى بين المسلمين وأهل الكتاب بناءاً على مفهوم ذلك الحديث، إذ هم يعملون بمقتضى الشرائع الكتابية!، وأنّ الخيرية التي تميّز بين الناس ليست في كون المرءِ مسلماً، بل هي في كَون المرء متبعاً لشرائع دينه بشرط التقوى! وأن يكون مُعيناً على عمران هذه الحياة الدنيا! واستَشهد في هذا المَجال بآية النساء "لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا"123.

ولا أدرى ما يمكن أن يقال في مثل هذا الخلط؟ وكيف يَقع فيه عَالم مثل عمارة، وكيف يَسكت عنه أترابه من العُلماء؟ فحديث "الأنبياء إخوة علاّت" إنما يعنى أنّ الدين الذي أُرسل به كافة الأنبياء هو دين ذو أصلٍ واحدٍ، هو التوحيد، ولا فرق في هذا القدر بين نَبيّ ونَبيّ، وأنّ تفاصيل الشَرائع كأداء الصَلاة وشكل الصَوم يختلف بين نبيّ ونبيّ، فالصَومُ قد كان عند زكريا عن الكلام، وعند محمد صلى الله عليه وسلم هو إنقطاع شهرٍ عن الطعام من الفجر إلى الغروب، وهكذا. وآية الحُجُرات "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ" تعنى أنّ أفضَلَ البشرِ هم أتقاهُم وهم بالضرورة من أسلم لله وتبع دين محمدٍ صلى الله عليه وسلم، لا من سلك ديناً محرفاً وإدعى التَقوى!! فرأس التقوى الإيمان بالله، إله الإسلام لا إله النصارى واليهود! وهذا القدر معلوم من الدين بالضرورة! فواعجباً لخرّيج الأزهر من هذا الفَهَم السَقيم!. وكيف يّفهم من آية النساء أنّ كلّ "من يعمل سوءاً" مقصود به تسوية المسلمين والمشركين من أهل الكتاب؟ إنما هو يعنى أنّ من عمل سوءاً من المسلمين جزى به، فإن تجنب الكبائر فتكفرها عنه المكفرات كالمرض والمصائب عامة، وأنّ من عمل سوءاً من أهل الكتاب عوقب به في الدنيا قبل الآخرة، وأكبر كبائرهم الكفر، فهم خالدون مخلدون في النار بكفرهم، وإنما العقاب على السوء هنا في هذه الدنيا. ومن ثم، فلا أدرى معنى قوله "فكل المؤمنين – على إختلاف شرائعهم – أسرة التدين بالدين الإلهيّ الواحد، وأكرمهم عند الله أتقاهم" التحديات 128! فكيف تكون لنصرانيّ مثلث يقول بأن الله ثالث ثلاثة كرامة عند الله؟؟!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويكرر الكاتب هذا المعنى في عدة فصول تعقب هذا الفصل تحت عنوان "التعددية"، فيقرر أنّ الإسلام ينكر المركزية الحضارية، فلا يريد أن تكون حضارة واحدة قائمة في الدنيا، وينكر مركزية العرق والجنس واللون، وينكر المركزية اللغوية، اي أن تصبح العربية لغة العالم المتكلم، وينكر المركزية في السلطة، أي الفرعونية في السَيطرة على الآراء والإتِجاهات داخل الأمّة. ثم يَخلُص عمارة أنّ الإسلام يدعو إلى "التعددية في إطار الوحدة، وهي الوحدة الجامعة للتنوع والتمائز والإختلاف" السابق 139. وإن نَعَى عمارة قَبلُ على الحَالِمين من أتباع اليوتوبيا وفلاسفة المدن الفاضلة أحْلامهم، فلسنا نرى فيما يقول إلا حلماً آخر من أحلام اليوتوبيا! حلمٌ تتعايش فيه اللغات والسلطات والحضارات معا في تناسقٍ وتناغم، يُقِرُ بعضها بعضاً ويقبل أحدها بالآخر! حلم من الأحلام ووهم من الأوهام. فإن كان ولابد من الحلم والوهم، فلا أقل من أن يكون حلم المسلمين متناسقٌ مع دينهم الذي يدفعهم إلى نشر الإسلام وعدالته وسلطته ولغته. كيف وقد قال ربعيّ بن عامر رضى الله عنه لرستم: "جئنا لنُخرِجَ الناسَ من عبادةِ الناسِ إلى عبادةِ الله وحده، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعة الآخرة ومن جورِ الأديان إلى عَدلِ الإسلام". هذه هي رسالة الإسلام، الحضارة الواحدة، والسلطة والواحدة واللغة الواحدة، ما استطعنا إلى هذا سبيلاً. فلا يقال أن الإسلام ينكر هذه الأهداف، ولكنّه يُقرّ الواقع خلافها ويتعامل معه إلى حين. ومن هنا نجد الخلط شبه المتعمد في المفاهيم عندما حلّل

الدكتور عمارة قول ربعيّ ، إذ إتخذه على أنه يعنى أن رسالة الإسلام "جاءت لتنتقل بالإنسان من ضيق الأفق المحليّ إلى استشراف الأفق الإنسانيّ .. وتنتقل بالإنسانية من التشرذم والتعصب القبليّ إلى أفق الوحدة الإنسانية والعالمية" ص161! وهو فهم عجيب للواقعة، إذ لا يحمل معنى محدد إلا أن يكون ربعيّ قد أراد أنّ الإسلام يريد أن يقبل بالنصرانية وأن تكون الإنسانية هي الجامع بين الناس لا الإسلام، كما في الماسونية! ولعل الدكتور عمارة قد تأثّر بالمَاسونية من حيث تتلمَذ على فكر الشيخ محمد عبده وجمال الدين الإيرانيّ، وكلاهما من أتباع المحفل المَاسونيّ الشرقيّ (راجع محمد محمد حسين – نحن والحضارة الغربية). ومن ثم اتخذ الدكتور عمارة نصّ كلمات ربعيّ على أنه دعوة للتنوع ونصرة للتعدد، دون أن يرى فيه أنه دعوة للدخول تحت وحدة الإسلام والخروج من تعدّد الحضارات والأديان!

فالإسلام لا يُنكر كلَّ أنواع التعددية، بل ينكر منها مركزية العرق والجنس واللون، وهو القدر الصحيح في كلِ ما ذَكر عمارة، لكنّ الإسلام لا يُنكر خلافها، بل يُقِرُّ بالتعددية ويَقبلُها في بعض صورها، والفارقُ شَاسعٌ عَميق. وإقرار الإسلام بالتعددية اللغوية والحضارية ليس من قبيل إنكار الرغبة في وحدتها، بل من قبيل العَمَلية في النَظر إلى الواقِع البَشريّ، ثم محاولة إصلاحه ليسود الإسلام لُغَةً وحضارة وسلطة. ولا يقال أنّ الإسلام يأبى وينكر أن تكون العربية، لغة القرآن، هي لغة الناس أجمعين، أو أنه يأبى وينكر أن تكون حضارة الإسلام هي حضارة الناس، أو أنه يأبى وينكر أن تكون السلطة التشريعية هي سلطة الإسلام وشرعه، هذا خَطَلٌ وتجافٍ عن الحَق.

إن الإسلام لا يريد أن يكون العَالم "منتدى حضارات" كما عبّر د.عمارة ص158، فليس لهذا التصور محلّ في أهداف الإسلام وما يريده للبشر، بل هو يريد لهم حضارة واحدة ودين واحد ولغة واحدة، وإنما التنوع الذي قبله الإسلام هو من قبيل الإبتلاء والإختبار للناس كما قال تعالى:"وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ" هود 119. فمشيئة الله الكَونية أن يَختلف النَاس للإبتلاء ومَشيئته الشَرعية أنْ يتّحِد النَاس تَحت لِواء الإسلام "وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم". وقد إختلط على محمد عمارة التمييز بين مَشيئة الله الشرعية ومَشيئَته الكَونية، وهو عَجيبٌ ممن يَتْخِذ العَقل مَرْجَعاً والعَقلانية شعاراً!

الجهاد، والقتال والإرهاب

وفي هذا القسم من الكتاب، رَدَّد الكاتب ما يردّده غيره ممن قرّر حقائق الإسلام سَلفاً ثم راح يبحث عن أدلتها بما يعضّد هذا التصور.

- والجهاد من جهد: وهو كلّ جهد يوجه إلى غرضٍ معين وبذل ما في الوسع من القول والفعل والدعوة إلى الدين الحق. ص232. وهو تعريف لغويّ لا شرعيّ لم يأت به مصدر موثق.
- فالقتال، الذي هو مجرد شعبة من شعب الجهاد عند عمارة، لا يُلجؤ اليه إلا "رداً للعدوان على عَقيدة المُسلمين أو أوطان دارِ الإسلام" ص225. وقد كرر ذلك في قوله "فرض القتال وإيجابه مقصور على هذه الأغراض حماية الدين من الفتنة وحماية الوطن من العدوان" ص246

ففي النقطة الأولى، قد خالف الكاتب ما استقرّ عليه العُلماء في أصول الفِقه واللّغة من أنّ للكلمات معانٍ شرعية ولغوية وعرفية، وأنّ المعنى الشرعيّ هو المُعتبر أولا، ثم العرفيّ ثم اللغويّ. لكن الهوى سَيد العقل، فقد قدّم الدكتور عمارة المعنى اللغوى وجعله حاكماً على المعنى الشرعيّ الوارد في القرآن من أنّ الجهاد إذا أُطلق لا يعنى إلا القتال، قال تعالى:

* "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" البقرة 218

* "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ" الأنفال 72

* "ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ" التوبة 20

* "ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" التوبة 41

* "لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ" التوبة88

* "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُون" الحجرات 15

* "قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ " التوبة 24

* "وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ" العنكبوت 69

ولم يخالف أحداً من مُفسّرى القرآن أنّ الجهاد في كلّ هذه الآيات هو القتال، بلا إحتمال آخر، وقد قال الطبريّ في آية العنكبوت 69 :"حدثنى يونس ، قال أخبرنا ابن وهب قال: قال بن زيد في قوله: والذين جاهدوا فينا: فقلت له: قاتلوا فينا؟ قال نعم" الطبري، تحقيق أحمد شاكر ج21ص505.

أما عن آية سورة الحج :"وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ" الحج 78، فقد ذكر الطبريّ تفسيرين لها، وهما "وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاد الله"، والثاني "لا تخافوا في الله لومة لائم" ثم إختار الأول وقال:" عَنى به الجهادُ في سبيل الله، لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل:جاهَدتُ في الله" السابق 19\517.

والأعجب والأدلّ على الهوى هو أنْ يَستشْهد الكاتب العقلانيّ بتفسير الصوفية للجِهاد على أنّه الجِهاد الأصغر، وأن جِهاد النفسِ هو الجِهاد الأكبر، بناءاً على حديث موضوعٍ، مَعروفٌ وضعُه عند كافة علماء الحديث. والمفترص أن عِمارة عقلانيّ لا يؤمن بالأحاديث الثابتة في الصحاح إلا إن سايرت العقل، فكيف يغير جلده ويروّج لأحاديث موضوعة؟! ومتى حَدَثَ التصَالح بين العَقلانية والصُوفية البَهلوليّة؟ والصوفية البهاليل يريدون أن يروّجوا للقعود في الحَضَرات والطَوافِ على المَزارات وإرتيادِ الخَلوات، دون الجِهاد في سَبيل الله الذي يَستدعى قتل النفس والتضحية بالمَال والولد. فهل هذا ما يتابعهم عليه العقلانيون؟

وفي النقطة الثانية، قرر الكاتب أن القتال لا يُلجؤ اليه إلا عند ردّ العدوان، وإتخذ من هذه النقطة ركيزة ليدفع بها تهمة أنّ الإسلام قد انتشر بالسيف. وهذا التقرير خطأٌ مَحضٌ لا يَستند إلى دليل، بل ويخالف إجماع العلماء المعتبرين ممن سبق. فالجهاد جِهادان، جهاد طلب، وجهاد دفعٍ وهو المَعروف بدفع الصائل. وجهاد الدفع هو الشكل الوحيد للجهاد فيما قرره عمارة ومن سار بسيرته في محاولة دفع التهمة التي ذكرنا وما هي بتهمة لنحتاج إلى ردّها، بل هي حقٌ لا يُنكره إلا جاهلٌ أو أخرق، وتدلّ عليه كافة أحداث الإسلام في القرون الثلاثة الأولى.

والفكرة الإسلامية كلها مبنيةٌ على نَشر الإسلام في الآفاق، لكن من المعلوم أنّ هناك المَوانع من جَهل بحقيقته أو تشويه لصورته تجعل هذا الأمر مُستحيل تَحقيقه، وهو ما نراه خاصّة في أيامنا هذه. ومن ثمّ فإن إزاحَة الطغاة الذين يمنعون النور من أن يَصل إلى الناس هو عُنصرٌ أصيلٌ في تركيبةِ الإسلام ودعوته. وهؤلاء الطغاة لن يتنازلوا عن مكانهم تطوعاً وإيماناً بالحق، بل إن القوة كانت ولا زالت هي الطريق الوحيد لتحقيق العدالة في بيان حقيقة الإسلام، فإن إنزاحَت الموانع وفُتحت البلاد فكلّ وما يريد في إختيار دينه، إذ عندها يكون قول الله تعالى "لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ" البقرة 256.

وقد يكون هذا القتال الطَلبيّ غير مقدور عليه في عصر أو عدة عصور، لكن هذا لا يعنى أن نقنّن رفعه من الشريعة وإدعاء عدم وجوده أصلاً، إلا ممن إنهزم نفسياً أو إنحرف عقائدياً. وإلا فليقل لنا أصحاب هذا المذهب التراجعيّ لما خرج الإسلام من المدينة إلى مكة، ألم يكن يكفى رسول الإسلام أن يُرسل المُعلّمين إلى مَكة ويُجادلهم بالتي هي أحسن، ولا يُنابذهم إلا إن نابذوه ولا يُقاتلهم حتى يقاتلوه، ثم يظلّ على ذلك حتى يؤمِن صَناديد قريش؟ ألم يعلم رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم أن لا جهاد طلب في الإسلام؟ ففيم بعثه للبعوث وفيم إرساله للجيوش وفيم كانت حملة أسامة بن زيد؟ وكيف إنتقل الإسلام من المدينة إلى

أطراف الصين شرقاً، وإلى المحيط الأطلسيّ غرباً؟ وليس هناك عاقل على وجه الأرض يقول أنّ ذلك كان بالمعلمين! ثم ما معنى كلمة الفتوحات الإسلامية؟ ألا تعنى ما فتحه المسلمون بالسيف، ثم استقروا واختلطوا وامتزجوا وآمن بالإسلام من أهل البلاد من آمن بعد أن زالت الغشاوات وتبينت الحقائق؟ أليس هذا ما حدث في فتح مصر؟ أم يقول عمارة أن فتح مصر كان بالكتب والمعلمين؟ وما الذي يجعل أرض الإسلام هي ما هي عليه الآن، ألا يجب أن تمتد أبعد من ذلك، إن قدر عليه المسلمون؟ ولماذا لم يتوقف الراشدون والمسلمون الأوائل عن الفتح، وقالوا ما قال عمارة من أنه لا جِهاد طلبٍ في الإسلام، ولنكتف بالجَزيرة العَربية ولنَحمِها ممن يُريد بها سوءاً؟ وماعلينا من العِراق وفَارس وما وراء النهرين، وما علينا من إفريقية وغيرها؟ هذا كله سُخفٌ وعارٌ، لم يكن جدير بمثل محمد عمارة أن ينشُره أو أن يَدعو له. وقد قال بن القيم رحمه الله تعالى "..والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم....ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم" ..ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرّماً ثم مأذونا فيه ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين أو فرض كفاية" زاد المعاد ج2 ص58 طبعة دار الفكر. وهذه الأربعة أسياف التي نزل بها القرآن، وليس بعد إيضاح بن القيم قيمة لرأي أحد من العقلانيين.

شَخْصيّات وآراء

وفي بقية كتابه، قدّم الكاتب دراسة لفكر ميشيل عفلق أهم منظرى القومية العربية في العصر الحديث ورائد حزب البعث السورى، ومؤسس الفكر الإشتركيّ على النموذج الإيطاليّ، قيّم فيها تطوّر فِكره من القومية البحتة القائمة على العروبة، إلى إدراكه لقيمة الإسلام في وجود العروبة واستمراريتها. وهي دراسة لا بأس بها في موضوعها، لكن ما يجب أن يعلمه القارئ أنّ أمثال ميشيل عفلق قد درسوا ومزجوا بين القومية والإسلام والوطنية والعروبة من منطلقٍ مخالف للمنطلق القرآنيّ، وهو ما يجعل النتائج التي وصلوا اليها لا تمثل إضافة للفكرة الإسلامية، إن لم تضادها في بعض تفاصيلها.

ثم تناول الكاتب الإمام حسن البنا، وعَرَض مُقتطفات من فِكرِه تتمثلُ في تصديه للفكرة التغريبية، ودعوته للمرحلية ورفضه لتعجل النتائج، وهو ما نراه من أفضال البنا ومن صحيح ما دعا اليه. لكن علينا أن نشير إلى أن البنا قد عبّر عما يعتبره الكاتب غلواً حين قال فيما نقله عنه "...ونحن نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة تحتضن الإسلام..." ص363، وهو نصّ لا يحتمل تأويلاً فيما يرى عليه البنا حكم مصر ووضعها الشَرعيّ من "الإسلامية"، ودع عنك من جاء من بعده من زعامات الإخوان ممن يؤول ويُبدل جهلا بالدعوة أو خوفاً من تداعياتها.

كذلك فقد نقل الكاتب عن البنا قوله في ضوابط التكفير "لا نكفر مسلماً نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض – برأي أو معصية – إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صحيح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلا إلا الكفر". وسبحان الله ما اصدق هذه الكلمات، لكن الكاتب وغيره الكثير من المنسوبين إلى الدعوة الإسلامية لا يرون هذا القول، بل يخالفونه صراحة. فاين هم من قول البنا "وعَمِل بمقتضاهُما" وهم يعتبرون العَمل لا عِلاقة له بالإعتقاد أصلاً؟ ثم هؤلاء لا يرون كفراً بعمل، إذ إن أصل الإيمان في القلب، والعملُ مُكمّل له.

وانتقل الكاتب بعدها إلى الحديث عن الإمام البشير الإبراهيميّ رحمه الله تعالى، إلا أننا لم نراه يشير إلى ما تميّز به الإمام من سنيّة تحمل على الصوفية البهاليل، وتنافحُ عن دعوة الإمام المُجدّد محمد عبد الوهاب. يقول الإمام الإبراهيميّ:"إننا علمنا حقَّ العلم بعد التَّروِّي والتَّثبُّت ودراسة أحوال الأُمَّة ومناشئ أمراضها أنَّ هذه الطُّرق المبتدعة في الإسلام هي سببُ تفرُّق المسلمين ، ونعلم أنَّنا حين نقاومها نقاوم كلَّ شر ،إنَّ هذه الطُّرق لم تسلم منها بقعة من بقاع الإسلام ، وإنَّها تختلف في التَّعاليم والرُّسوم الظاهر كثيراً، ولا تختلف في الآثار النَّفسيَّة إلاّ قليلاً ، وتجتمعُ كلها في نقطة واحدة وهي التَّحذير والإلهاء عن الدِّين والدُّنيا" عن مقدمة كتاب الطرق الصوفية للبشير الإبراهيمي، للشيخ مشهور سلمان ص 6، طبعة الغرباء الأثرية.

فأغفل الكاتب هذه الجوانب في الإمام الإبراهيميّ ولم يشر إليها بكلمة واحدة، وركّز على دفاعه عن الجزائر وإنشائه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة، وعن ورعه وتقواه، وهو مما لا يشك فيه من علم أحوال الشيخ الإمام، رحمه الله.

ثم انتقل الكاتب إلى الحَديث عن الشَيخ مُحمد الغزاليّ رحمه الله، وركّز في حديثه عن الغزاليّ على الجانب العقلي في فكر الغزاليّ والذي – على رِفْعَة قدر الغزاليّ - لم يَحمده له كافّة العلماء من أهل السنة والحديث، إذ قد عُرف عن الغزاليّ إتجاهه العقلانيّ ومنحاه في ترك أحاديث الآحاد لإيماءات القرآن. وقد واجه الشيخ الغزاليّ هجوماً عنيفاً في أُخرَيات أيّامه من كثير من العُلماء الذين انتقدوا كِتابه "السّنة النبوية بين الفِقه والحَديث". والحقّ أن الشيخ الغزاليّ قد أفلتت منه عباراتٌ لا يصحّ أن تُنسب لعالم يدعو إلى الإسلام كقوله في معرض حديثه عن الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب وأبو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة وعمران بن حصين "إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وبن ماجة وأحمد، فقد قال بعد أن أعلن خطأ عمر في نقل الحديث، وأنه لابد أن يَرجع الفقهاء إلى القرآن ويُعملوا العقل حيث قرّر القرآن مبدأ "ألا تزِر وازرةٌ وِزرَ أخرى، ثم بعدها "إن وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه" السنة النبوية بين الفقه والحديث ص17. والتعبير بالركام عن مجمل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوصفُ إلا بقلة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أراها – إن استثنينا خطؤه في فهم هذا الحديث خاصة – إلا زلة لسان فاحشة سبق بها القلم لما عُرِف من غَضَب الغزاليّ ممن انتقدوا فهمَه للسُنّة وإتجاهَه العقلانيّ الإعتزاليّ من تقديم العَقل على النَقل، خاصة في أيامه الأخيرة، التي كان ردّ فعله عليها هو هذا الكتاب الملئ بالأخطاء الشرعية. ثم لا ينقُضُ هذا قدرَ الغَزاليّ فيما قدم في رِحلَة عُمره للدعوةِ الإسلامية وللشباب المُسلم.

ثم انتقل الكاتب إلى الحديث عن طَه حُسين، فحاول أن يَرفعَ عنه وَصمةَ الكُفرِ التي أثبتها عليه عُلماء الأزهر فيما كتب " في الشعر الجاهليّ" حيث قرر أنّه لا يلزم أن تكون الأحداث التاريخية الواردة عن إبراهيم وسائر الأنبياء دليل على حقيقة تاريخية ثابتة، وأنّ القرآن إنما جاء في سياق تطور لُغويّ متسقٍ، إلا أنّ العرب قد تعمدوا محو ما كان من نثر قريب منه بعد الإسلام حتى لا يختلط به، وهو ما يوحى ببشرية القرآن، وينفى إعجازه. يقول الرجل في حديثه عن رحلة هاجر وإسماعيل :"ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والتوراة والقرآن من جهة أخرى".

وفي هذا السياق، حكى الكاتب عن طه حسين ما كان منه في رحلة عُمْرَة جاءت له في سياق إختياره عضواً اللجنة الثقافية للجامعة العربية، ولا أدرى لماذا لم يأخذ طه حسين البادرة بالذهاب إلى الأراضى المقدسة من حسابه الخاص كما يفعل فقراء الناس من أرجاء المعمورة، خلال عمر طال به فوق الثمانين، حيث يبكى ويتنهد كما فعل في هذه الرحلة التي جاءت من الجامعة العربية. وعلى كلّ حال، قد أفضى الرجل إلى ما قدّم، وهو بين يديّ خالقه، ولكن الحكم العلميّ "العقلانيّ" على الأشخاص لا يجب أن يكون بهذه البوادر التي تتجاوز إنتاج عمر كامل من الباطل، دون أن يكون هناك بادرة رجوع عما دوّنت. والأزهر، وغيره ممن كفّر طه حسين، لم يكفره من باب كرهه لرسولالله صلى الله عليه وسلم، ولا من باب إحتقاره للحجر الأسود، بل من باب ما روّج عن القرآن وقصصه وإعجازه مما يمكن للقارئ أن يراجع في نَقده العديد مما كتب العلماء الأدباء مثل مُصطفى صَادق الرافعيّ في رائعته "تحت راية القرآن".

والله نسأل التسديد والثبات

تعقيب على مقال الدكتور محمد عمارة (الفاتيكان والإسلام)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وبعد

جزى الله خيراً الدكتور محمد عمارة لما بذله من جهد في سلسلته الفاتيكان والإسلام التي تكبّد فيها الردّ على عظيم الفاتيكان، وكبير آباء الكنيسة الكاثوليكية لمّا تعدى على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترى على الإسلام وأهله بجهل متعالم أو بعلمٍ جاهلٍ، سيان. ولا شكّ أن ما خرج من فمِ هذا الأب المتنكّر للحق يجدر أن يـَردّ عليه من إستطاع إلى ذلك سبيلا بجرأة وعلم.

لكن الأمر الذي نريد أن ننبه عليه في هذه السلسلة يتلخص في قضيتين، أولاهما، صحة النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمر تعوّد العقلانيون التخفيف من أمره إلى حدّ العبث، وهو مما عُرف عن المعتزلة[3] خاصة – اللذين أشاد الدكتور عمارة بدورهم في حضارة الإسلام وتمجيد العقل**!** – وعن أهل البدعة عامة. فقد قال الدكتور في مقاله السادس " *..* ***ألم يسمع عظيم الفاتيكان أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قد قال : "العقل أصل ديني".. وقال : "عليكم بالقرآن ، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا*** " (رواه الدارمى)". وما يجب التنبيه عليه أنّ ما ذكر الدكتور ليس من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فالقول الأول قد روى عن عليّ بن أبي طالب في نهج البلاغة ولم يصح عنه، أما ما رواه عن الدارميّ فلو إهتم الدكتور بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إهتمامه بأقوال الغزالي وابن رشد، لراجع الدارمي الذي أورده، ولو أتعب نفسه بقراءة سلسلة الحديث لوجده عن كعب لا عن رسول الله سلى الله عليه وسلم ولم ينسبه أحد قبل الدكتور لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج الدارمي قال:حدثنا عمرو بن عاصم ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن مغيث عن كعب قال:عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهدًا، وقال في التوراة يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا.." فهو في أفضل الأحوال موقوف على كعب ولا يصح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليس جديدا أن ننبه على ضرورة التحرى في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا هو جديدُ أن نذكّر بحديثه صلى الله عليه وسلم "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه الترمذي وقال حسن صحيح ولا أنّ نكرر ما استقرت عليه العلماء وذلّت له عقولهم بالتسليم من أن السنة هي المرجع الثاني في الشريعة بعد القرآن، وأنّها الشارح المبين لأحكامه. ولكن الجديد أن يغفل عنها مثل الدكتور عمارة في دفاعه عن الإسلام ونبيّه وأهله.

والقضية الأخرى التي لا تقل خطراً عن الأولى أن منافحة الدكتور عمارة عن الإسلام ونبيّه وأهله تصدر من نفس المصدر الذي صدرت عنه الإعتزال وتستخدم نفس المعطيات فتدسّ في ثناياها التخفيف من قدر السمع وإعلاء دور العقل من فوقه. ونظرة إلى الأسماء التي نقل عنها الدكتور تنبئ عن صحة ما ذكرنا. فقد نقل عن الماورديّ، وبن رشد والغزالي والجبائيّ والقاضي عبد الجبار والجاحظ وهم – إلا الغزالي – من كبار المعتزلة الذين خلّطوا ووقعوا في شبهة تعظيم دور العقل وجعله حاكِما على الشرع.

ثم حين نقل الدكتور عمارة عن بن تيمية – وبدأ نقله بقول "حتى بن تيمية .." كأن أهل السنة لا يرْقون إلى أن يكون لهم رأي في المنظومة العقلية الإعتزالية البدعية**!** نقل بتصرف كبير مخلّ عن بن تيمية في كتابه درء التعارض أنه قال"***الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنبلية يقولون بتحسين العقل وتقبيحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين*"** دون ذكر الجزء أو الصفحة، ولم نعثر في الكتاب المذكور على هذا النص بهذه الحروف، ولعلنا أخطأناه وله منى الإعتذار، وإنما وجدنا أقرب ما يمكن اليه في ج9ص12 حيث قال بن تيمية**: "** حتى قال أبو منصور الماتريدي في صبي عاقل إنه يجب عليه معرفة الله وإن لم يبلغ الحنث قالوا وهو قول كثير من مشايخ العراق ومنهم من قال لا يجب على الصبي شيء قبل البلوغ كما لا تجب عليه العبادات البدنية بالاتفاق قلت (اي بن تيمية) هذا الثاني (لا يجب على الصبي شيء قبل البلوغ) قول أكثر العلماء وإن كان القول بالتحسين والتقبيح يقول به طوائف كثيرون من أصحاب مالك والشافعي وأحمد كما

---

[3] راجع كتابنا عن المعتزلة http://www.tariqabdelhaleem.com/book.php?cat=1

يقول به هؤلاء الحنفية"، والفرق بين النصين ظاهر، فقول "طوائف كثيرة" لا يعنى أنها "أكثر الطوائف"، كذلك ما ورد في كتاب بن تيمية " وهذا الأصل تنازع فيه المتأخرون من عامة الطوائف فلكل طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد فيه قولان وأما الحنفية فالمعروف عنهم القول بتحسين العقول وتقبيحه"ج9ص10 وهذا الأصل يعنى التحسين والتقبيح ومن ثمّ الإيجاب والتحريم، وهو قريب مما حاوله الدكتور مع الفارق بين النصين كذلك.

ثم إن رأي بن تيمية وهو رأي أهل السنة والجماعة قاطبة يخالف من زعم أن العقل يقبح ويحسن دون الشرع كما قالت المعتزلة وبعض الحنفية ومن زعم أن العقل لا يدرك الحسن والقبح ابتداءا كما قالت الأشاعرة والجهمية، بل الأمر، كما قال بن تيمية أن " .. قول أحمد لا تدركها العقول أي أن عقول الناس لا تدرك كل ما سنه رسول الله فإنها لو أدركت ذلك لكان علم الناس كعلم الرسول ولم يرد بذلك أن العقول لا تعرف شيئا أمر به ونهي عنه ففي هذا الكلام الرد ابتداء على من جعل عقول الناس **معيارا** على السنة ليس فيه رد على من يجعل العقول **موافقة** للسنة "ص10. ففارق بين من جعل العقل معيارا للشرع ينزّله عليه وبحكّمه فيه وبين من جعل العقل موافقا للشرع لا تعارض بينهما، فيما يمكن للعفل أن يدركه بنفسه، وعليه ينزّل كلام القرافي المذكور في مقال الدكتور، لا أن العقل له مرجعية مطلقة في التحسين والتقبيح كما ينص عليه كلام الدكتور!

والجزء التاسع الذي نقل عنه هذا الكلام "بتوسعٍ" هو مناقشة بن تيمية لأصحاب الرأيين المتضادين، في تقديم السمع أو العقل، وبدأه بنقل ما ذكره الشريف أبو علي بن أبي موسى في شرح الإرشاد، من نصر السمع على العقل بإطلاق ثم نقل ما ذكره القاضي أبا يعلى وتطرق لأقوال بن رشد وأبي المعالى الجوينيّ في الإرشاد. والأمر في كتابات بن تيمية أنه يجب التنبه إلى ما هو من قوله أو مما ينقله عن غيره. ورأي بن تيمية في التحسين والتقبيح العقلي والشرعي يُعرف مما كتب في مواضع كثيرة أخرى لا محل لذكرها في هذا العتاب.

والله سبحانه الهادى لما فيه الحق

د. محمد عمارة وأحاديث الآحاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وبعد

اطلعت على مقال الدكتور محمد عمارة المنشور في المصريون بعنوان "الإسلام عقيدة وشريعة" بتاريخ السابع من أكتوبر 2008، فاشتممت منه العجلة وكأنه كتب للرد السريع على القول الذي "*يهرف به الذين لا يعلمون*". ولكن ما شدّني إلى هذا المقال هو الباعث على كتابته في هذا الوقت بالذات، فإن هذا الأمر قديم قِدم المعتزلة الذين تولوا كبره أول الأمر ثم تبعهم من تبعهم من المتكلمين من الأشاعرة كابن الباقلاني والغزالي والجوينيّ وبن عقيل وغيرهم، وتابعهم عليه من المُحْدَثين من إعتمد أسلوب المتكلمين في فهم الحجج القرآنية سبيلاً.

وما أريد أنّ أبينه للقارئ الكريم أنّ دعوى الإجماع العريضة التي نقلها الدكتور عمارة عن الشيخ شلتوت رحمه الله تعالى هي دعوى غير صحيحة وكان من الأوفق – مع علمه وفقهه - أن يتريث في نقلها ونصرتها، فقد خالفها من العلماء الأجلاء من أهل السنة والجماعة، الذين وقفوا بالمرصاد لما حاولته المعتزلة من أتباع العقلانية الفارغة، من لا يحصى، وقد نقل بن القيم إجماع السلف – خلافاً للمتكلمين والمعتزلة – على أن خبر الواحد الصحيح الثابت يفيد العلم اليقينيّ، كما نقله عن شيخ الإسلام بن تيمية، قال في مختصر الصواعق المرسلة (372/2) نقلا عنه: " وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، لكن تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له ....**فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد من الأولين والآخرين ، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع**" وذكر بن القيم في نصر هذا القول 21 دليلا فليرجع إليها الدكتور عمارة.

وليس أجلّ في المُحَدثين من إمام المحّدثين الشيخ أحمد شاكر في الذي قال في ص30 من الباعث الحثيث: "والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من **أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما، وهذا العلم اليقيني علم نظري برهاني لا يحصل إلا للعالم المتبحر في الحديث، العارف بأحوال الرواة والعلل**، وأكاد أوقن أنه هو مذهب من نقل عنهم البلقيني".

ولا أريد أن تكون هذه الكلمة محلّ نقولات عن من صحح القول الأصليّ الأصيل بأن الحديث إن صحّ أوجب العلم اليقينيّ ولكن يكفي بيان خطأ دعوى الإجماع التي استند عليها الدكتور عمارة للرد على من ظنه يهرف بما لا يعرف!

وأمر حجية حديث الأحاد في العقائد هو أمر مبتدع أصلاً أدى اليه منهج الفلاسفة وأصحاب المنطق – المزعوم – وإلا فلا فرق عقلا فيما يوجبه القول إن صحّ ثبوتا ودلالة من طريق قطعيّ وما صحّ من أكثر من طريق، وسؤالي إلى الدكتور عمارة: وماذا إذا إعتمد من كفر من أهل قريش ومن بعدهم إلى يومنا هذا على هذه الحجة ووقف بين يديّ الله سبحانه فقال: "ولكن يا ربّ قد وصلنا خبر الإسلام والتوحيد والعقيدة كلها من محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو خبر واحد لا جدال في ذلك" فهل يا تري كانوا بهذا قد أقاموا الحجة على الله سبحانه وهو القائل "فلله الحجة البالغة"؟ ويا ترى حين أرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مبعوثيه إلى اليمن والعراق والشام وغيرها من البلدان فرادى يبلغون أهلها رسالات الله، ترى هل نبـّه عليهم – فيما يرى الدكتور عمارة – أن لا يتحدثوا اليهم في شأن العقائد؟ واين ثبت مثل هذا التنبيه؟

ثم أليس فارق كبير بين أن تكون العقيدة صحيحة يجب على المسلم المسلّم بحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يؤمن بها وبين أن يقف على جرف هار ينجو به من الكفر إن أنكرها؟ فمما ذكره الدكتور عمارة من أنّ منكر حديث الآحاد لا يكفر، أنريد للمسلم أن يقف بين يديّ الله سبحانه هكذا على حرفٍ "بالكاد" سَلِمَ من الكفر! ألا نريد للمسلم منزلة عند الله سبحانه أفضل وأرفع من ذلك؟

إن هذا القول يضرب بعمق فيما استقرت عليه عقائد الكافة، عامة وعلماء، الذين توارثوها جيلا بعد جيل كعقيدة عذاب القبر والصراط والميزان والورود على الحوض وغير ذلك، فلعلّ الله أن يحمى هذه الأمة من الفتن والمكائد.

الوجه القبيح لمحمد عمارة

الثلاثاء 22 يونية 2010

أود أن أفتتح مقالي بحمد الله سبحانه الذي جعلني ممن يكتب دفاعاً عن دينه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا ممن انتشر اسمه بين الناس بما يدسّ السمّ في الدسم، ويخلط الحق بالباطل.

الأمر أن محمد عمارة قد كشف عما خبيئة نفسه التي عرفنا منذ زمن، في مقاله الأخير عن عقلانية الإسلام، في الجريدة التي تداهنه، نعم، فالمداهنة ليست لأهل السلطان فحسب، بل قد يُداهن من له اسم يتردد في مجال الدين، إما موافقة له، وإما رغبة في إسترضائه، والمداهنة هنا هي أخف الأمرين.

قد كتبت من قبل مقالا عن مذهب محمد عمارة (http://www.tariqabdelhaleem.com/details.php?id=327)، وهو ما رفضت الصحيفة نفسها نشره آنذاك، تحت زعم أن عمارة قد تبدّل مذهبه! بينت فيه مذهبه الإعتزاليّ فيما يردد عن عدم قبول أحاديث الآحاد – وإن صحّت، وإن رواها البخاري أو مسلم – وهو بالضبط ما يتمشى مع مقولة أنّ الله يُعرف بالعقل لا بالشرع أو النقل. هي هي دعوى من هم أحدّ ذكاءاً وأكثر معرفة من عمارة كالنظام والغزال والعلاف والجاحظ، من مؤسسي هذا المذهب قبل ما يزيد على عشرة قرون، وهم من بيّن علماء أهل السنة، بلا استثناء مخالفتهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليك بما دوّن في ذلك شيخ الإسلام بن تيمية وبن القيّم والحافظ اللالكائي والإمام البغوي وعشرات غيرهم من أعلام السنة، يزيّفون هذه المقولة المغرضة التي ظاهرها الرحمة وباطنها البدعة.

ومحمد عمارة ليس من أهل الحديث كالألباني أو العلامة أحمد شاكر رحمة الله عليهما، ولا من متخصصي العقيدة والتفسير كالشيخ الأمين الشنقيطي أو الإمام محمد بن إبراهيم أو الإمام الدوسريّ، رحمهما الله، ولا حتى من المفكرين العلماء كالعلامة محمود شاكر أو كالدكتور السباعيّ رحمهما الله تعالى، بل هو كاتب أزهرى غير متخصص من الطبقة التي يسمونها "المفكرون!". وكأن التفكير ينفصل عن العلم المتخصص، وهو ما بينته في مقال سابق (http://www.tariqabdelhaleem.com/details.php?id=403)، يكتب في شؤون مقارنة الأديان، وهو أقل العلوم الإسلامية شأناً وجلالة بلا خلاف. وقد تأثر الرجل بالمذهب الإستشراقي، حتى أنه حين أراد أن يدلل على مذهبه الباطل بتقدم العقل على النقل، استشهد باقوال مستشرقين، لا بعلماء السنة كما هو معهود، وما ذلك إلا لإنبهاره بالعجم، وقلة معرفته بعلم السنة، وعدم وجود من له اسم علم يقف معه في مثل هذه العقيدة، وكان أولى به أن يذكر من تأثر بالعجم من أمثال محمد أمين أو محمد حسين هيكل من المحدثين، إذا لواستقوى بمن هم من جلدته من أهل هذه البدعة، لكنه يعلم أثر الإستشهاد بإسم عجميّ مستشرق لعلمه ما لهذا من أثر على القارئ العاميّ، فيا له من تدسّس مقيت. ويكفى تدليله على مذهبه بقول مستشرق وبقولة شعبية مصرية لا تُعرف إلا في مصر، ولا نعرف عن نشأتها ومتى أُحدثت، لنرى مدى تهافت أدلة هذه البدعة

وليس بيني وبين محمد عمارة ثأرُ شخصيّ، إذ قد دافعت عنه ضد محاولات رجال الدين الرسميين من أهل السلطان أن يبعدوا ما كتب عن العقل المسلم بشأن الديانة النصرانية المثلّثة (http://www.tariqabdelhaleem.com/details.php?id=401)، لكن أمر السنّة أكبر من أن يُجامل فيه، وأترك أمر المداهنة في الدين لأولئك الذين صرعتهم فكرة التوفيق والتلون بين الحق والباطل من أهل الصحافة.

والعقل لا يُقدم على النقل بصريح المعقول وصحيح المنقول، فالعقل ليس عقلا مطلقاً، بل هو، على وجه الدوام، ملتصق بمن يحمله، فعقل محمد عمارة لا يمثل إلا محمد عمارة، ومن هنا فإن هذه الدعوى الباطلة قد أفرزت عقائد فلسفية و"دينية" لا حصر لها، إذ تبعت كلّ منها عقل مؤسسها، ثم عقل تابعيه وتابعي تابعيه. هذه واحدة، ثم كيف يصحّ عقلا أن يُحَكّم "العقل" بمعناه البدعيّ، فيما أتى لهدايته للحق؟ هذا خُلفٌ كما يقرر أهل المنطق.

ثم، إن قال القائل أن المقصود بالعقل الكليّ هنا هو مقتضى الضرورات العقلية التي لا يختلف عليها إثنان، قلنا: قد أخرجت بنفسك موضع الخلاف في المسالة من هذه الضرورات إذن، إذ قد إختلف البشر على مرّ الزمان في وجود الله، وكيفيته، منهم من زعم أنه ثلاثة في واحد كالنصارى، ومنهم من زعم أنه موجود في كلّ شيئ كأصحاب الحلول والإتحاد من الصوفية أو

كثير من ديانات الهنود، ومنهم من زعم أنه مطلق مثاليّ كما زعم هيجل، أو أنه خلق الخلق ثم مات (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) كما زعم نيتشه! وغير ذلك من ترّهات، فأى عقل نتّبع؟ وأي ضرورة مشتركة بين العقول في هذا الكمّ الهائل من التخريف والتزييف؟

أما عن الشرع، فقد بيّن الله سبحانه أنّ الحساب لا يكون إلا بعد الرسالة، قال تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" الإسراء، وقال فيما لا يدع محلا لقائل في هذه المسألة: "رُسُلاً مُبشرين ومُنذرين لئلا يكون للناسِ على الله حجةٌ بعد الرُسل" القصص، وهو ما يعنى، لأى عاقل، أنه دون المرسلين يكون للناس حجة على الله إذ يقولون: يا رب، قد تركتنا لعقولنا وعقول سفهائنا لنعرفك ونعبدك، فأين النقل الذي يدلنا عليك حق الدلالة؟ وليس بعد هذا البيان من بيان، لمن ألقى السمع وهو شهيد. وانظر كيف دللّ الله على رسالته بمن "ألقى السمع" لا لمن حكّم العقل وهو شهيد!

ولا يحسبن أحد أننا نقول بإلغاء العقل، فهذا لا يكون، إذ كيف يفهم الإنسان ما يسمع إذن، وهو مقتضى قول الله تعالى "أفلا تعقلون" ، أي: بعد أن سمعتم ما جاءكم من قول، هلاّ تدبرتموه لتدركوا صحته، إذ هو صحيح في ذاته، وإن لم تفهموه وتستوعبوه فهذا لخلل في عقولكم لا لضعف في دلالته. ومن هنا يأتى مربط الفرس في مثل قول أمثال عمارة، إذ هم يريدون أن يوهمونا أن هذا العقل التابع يجب أن يكون متبوعاً، وأنه، نتيجة لهذا، يجب أن نقبل مقولة أن الحديث وإن صحّ يجب أن نحكم فيه العقل لنأخذ به وإلا فإنْ رَفَضَه "العقل"، وهو عقل محمد عمارة في هذه الحالة، أو قد يكون عقل أحمد أمين أو زيد من الناس في حالات أخرى! فإذن نرده ولا غضاضة.

خطل من الخطل وباطل من الباطل، يجب أن ينتبه له القارئ المسلم، فليس كلّ من سوّد صفحة كان بها منتصراً، بل يجب أن نزيف الزائف وأن نصحح الصحيح، فهذا ديننا وهذه عقيدتنا، ولن ندع من يتدسس لها وشأنه مهما كان.

محمد عمارة .. في رَكْب أرباب المُواطَنة

الاثنين 25 أكتوبر 2010

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وبعد

نشر موقع رسالة أون إسلام في صفحته اليوم، الأحد أكتوبر 21 لعام 2010، مقالاً للدكتور محمد عمارة بعنوان "مفهوم المواطنة في ظل المرجعية الإسلامية"، تساءل فيها "هل المواطَنَة لا بدَّ أن تكون علمانيَّة؟! وهل تحقُّقُها يستلزم التخلي عن المرجعيَّة الإسلاميَّة في القانون والتشريع؟" اهـ. وقد أوضحنا رأينا في مفهوم المواطنة الذي يروج له بعض "المفكرين المسلمين"، في مقال سابق، ولكن أريد أن أضع بعض النقاط على الحروف، فيما يخص هذا المفهوم، إذ إن تناول الدكتور عمارة وغيره في هذا الشأن لا يقدم إجابات شافية شرعية على الكثير من النقاط التي تثار في هذا الشأن.

والدكتور عمارة قد قرر أنّ المواطنة لا علاقة لها بالعلمانية، وأنّ الدولة الإسلامية الأولى قد أسّسَت هذه المواطنة في عهدها مع اليهود في المدينة. من هذه النقاط، أننا حين نتحدّث عن مفهومٍ معيّن، يجب أن يكون الفهم السائد الإستعمالي لهذا المفهوم هو المرجع في الحديث عنه، ولا يصلح أن نقرر صحة مصطلح إن لم نتفق على معناه ومضمونه. والمواطنة التي يرفضها الإسلام هي المواطنة التي تتبنها فرنسا على سبيل المثال، حيث العلمانية هي المرجع الرئيس من حيث تتمشى مع مصطلح المواطنة، وتنحية الدين من أمور الدنيا، ليتمهد لهم المساواة، في ظلّ التساوى بين الأديان.

نعم، العلمانية ضرورية لتحقيق المواطنة بهذا المفهوم. ونعم، لا يتلاءم هذا المفهوم مع الدولة التي تتخذ ديناً لها كمبدأ للتعامل، ومرة أخرى، نحيل القارئ على ما قررته الدولة الصهيونية، من إصرار على يهودية الدولةن وعلى أداء قسم الولاء لها "كدولة يهودية"، وهو، إن حدث في أي بلد إسلاميّ قامت قيامة الدنيا، وفيها أهل الوسطية العلمانية من مفكرى الإسلام، أن هذا تطرفّ وتصلفّ، وجريمة في حق الإنسانية، ومثل هذا الخبث الذي لا يحمل إلا نفوراً من الإسلام وإزوراراً عن رسالته.

والأخطر في مقال محمد عمارة هو قوله: "فالإنسان -في الرؤية الإسلاميَّة- هو مطلق الإنسان, والتكريم الإلهي هو لجميع بني آدم, "ولقد كرَّمنا بني آدم" الإسراء 70, والخطاب القرآني موجَّه أساسًا إلى عموم الناس، ومعايير التفاضل بين الناس هي التقوى المفتوحة أبوابها أمام الجميع "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات 13، بل قد جعل الإسلام الآخر الديني جزءًا من الذات, وذلك عندما أعلنَ أن دين الله على امتداد تاريخ النبوات والرسالات هو دين واحد, وأن التنوُّع في الشرائع الدينيَّة بين أمم الرسالات إنما هو تنوُّع في إطار وحدةِ هذا الدين "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" المائدة 48".

ولن نتمكّن، في نِقاشِنا للدكتور عمارة، من الرجوع إلى أحاديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحةَ الثابتةَ في الصحيحين، ، إذ إنّ الدكتور عمارة لا يَعتدّ بأحاديثِ الآحادِ (أي غير المتواترة)، التي هي غالب السنة، وإن صحّت، وإن رواها البخارى أو مسلم، إلا إن وافقت ما يراه صحيحا بمقياس العقل (عقل الدكتور عمارة)، وهو ما قرّره في العديد من كتبه، وما شَرُفَت جريدة المصريون بنشره له منذ عدة شهور، مبرّرة ذلك بأنّ هذا أمْر خِلافيّ! لكن، وبهذا النظر، فالأمر بين الإسلام والنصرانية وغيرها أمرٌ خِلافيّ، والفرق بين السنّة والبدعة أمور خِلافية! وعندها تتوه الحقائق وتتميّعُ الثوابت، وتتصدّعُ الأصُول، ولا حَول ولا قوة إلا بالله، ولهذا الحديث مقام آخر إن شاء الله.

والمفهوم الذي يقصده عمارة في نصّه السابق، يقرر، في هذا التسلسل، أنّ:

- الله سبحانه كرم بنى آدم، كلّ بني آدم (يقصد بهذا مسلمهم وكافرهم).
- القرآن توجه بكلامه إلى كل بنى آدم، مسلمهم وكافرهم، فكافة الآيات فيها مخاطبة لبني آدم، مسلمهم وكافرهم.

• معيار التفاضل بين الناس هو "التقوى" كما في آية الحُجُرات، وهو، بناءاً على ما تقدم، خطاب للكافة، مسلمهم وكافرهم، أي، بمعنى آخر، أن المسلم لا يتفاضل على الكافر إلا بالتقوى، والعكس صحيح، فالقبطي المُثلّث قد يكون أتقى في تثليثه من المسلم، فيكون أفضل منه!

• ثم، الدين واحد، فلا فرق بين إسلام ونصرانية ويهودية، طبقا لما قرّر القرآن من أنّ رِسَالات الأنبياء واحدة، فالقبط المثلثون، دينهم كدين المسلمين واليهود، إذ أصله التوحيد!

• الفرق بين الأديان هو فَرقُ في التطبيق والشرعة، أي التكاليف، وليس في العقيدة. وهذا الفرق والتفرق مقصود للشارع، وليس إنحراف من بني آدم، حسب قوله تعالى في المائدة!

والله قد أعياني فهم موقف الدكتور عمارة في هذا النصّ الذي لا يحتمل تأويلا إلا ما أوردنا، في ضوء ما كتبه من تحريف النصرانية في كتابه الذي منعه ما يسمى مجمع البحوث الإسلامية. لكن، هذه هي عين المشكلة التي نعانيها، نحن المُسلمون السَلفيون المُتشددون الأصُوليون، ممن يتبع سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون خَلط ببدعة أو تقديم بين يدي الله ورسوله بعقل، إذ لا نرى المنهج مستقيما ولا الرأي مستوياً في حديث هذه الفئة، وهو ما ننقده وننقضه في كلّ مرة ترفع البدعة رأساً.

والأمر فيما أوردناه من تسلسل الأفكار التي أوردها الدكتور عمارة كما يلي:

• نعم، كرّم الله سبحانه بني آدم مُسلمهم وكَافرهم، لكنّ منهم من كفر ومنهم من إهتدى. فمن كفر ردّه الله أسفل سافلين كما في سورة التين، ومن أسلم كان من أصحاب اليمين أو من السابقين.

• نعم، كلام القرآن موجّه لكلّ بني آدم، لكنّ بعض الآيات موجّه لتطبيق المسلم دون الكافر كَكَافة آياتِ الأحكام مثلاً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه لا يَصحّ أن تنتزع آية من سياقها الموضوعي وتعمم دون دليل، فإن التقوى المقصودة في كافة آيات القرآن هي الإسلام دون غيره، الذي هو الدين عند الله دون غيره، ومن ثمّ، فإنّ آية إن أكرمكم عند الله أتقاكم يقصد بها المسلمون دون غيرهم، أو من تابع الرسل من قبل سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوحيد الصحيح. ولا يصحّ ما أراده عمارة من معنى على وجه الإطلاق، ولا يَصِحُ ذكرَها على الإطلاق في هذا السِياق إلا تمويها وتعْمِية.

• ولا أدرى لِمَ وَرّط َعِمارةَ نفسَهُ في هذا الخْلط،؟ فقوله أنّ التوحيد هو أصل الديانات معروف مقرّر، ولا علاقة له بأهل الكتاب، فهم قد إنحرفوا عن التوحيد، كما يعلم عمارة، ولا مناسبة لهذا التقرير هنا، فلعله يوضح في مقالٍ آخر ما يقصَد بهذا التقرير في هذا السِياق، فواضِح أنه كَتب هذه الكلمات قبل أن ينضُج المَعنى والتسلسل في فِكره. • كذلك ما ذكر من أنّ الفرق بين الأديان في الشِرعَة والمنهج التطبيقيّ (السنة)، لا أدرى ما يقصد بهذا، والله وحده أعلم به. الحاصِلُ، أنّ مقالَ محمد عِمارة، مَرّة أخرى، مُتسِقٌ مع مُسلسل المفاهيم المُجدّدَة المُحَرّفَة، الذي تتسَارعُ خُطاه وتتّسِع دائرَتُه، من محمد سليم العوا، إلى أحمد الريسونيّ، وفهمى هويدي، ثم محمد عمارة، في عرض مفاهيم المواطنة والتجديد والوسطية وغيرها من وجهة نظرٍ لا تخدم الإسلام في معركته المحتدمة مع العلمانية والتنصير.

والحمد لله رب العالمين